المقاربات والتعدد كمؤطر للتنوع الثقافي
(اليونسكو والأرشيفات)

الباحث ادريس السهلي
طالب باحث بسلك الدكتوراه
مختبر آداب وفنون، كلية اللغات والآداب والفنون
جامعة ابن طفيل القنيطرة
تحت اشراف: فاطنة الغزي
المغرب

ملخص:

ما يمكن استنتاجه من الثقافة المادية واللامادية في حياتنا اليومية، هو مدى التعدد الثقافي والرمزي الذي نتج طريقة الاحتكاك والاستمرارية في الحقل الثقافي والمجالي المعرفي، لممارسة الطقوس المناسباتية، وجعل الأمثال كمنهج مؤطر للتنوع الثقافي للشعوب الاجتماعية في مجال من المجالات حسب اختلاف المكونات الثقافية.

الكلمات المفاتيح: الثقافة، التنوع الثقافي، الامثال الشعبية

Résumé:

Ce qui peut être déduit de la culture matérielle et matérielle dans notre vie quotidienne, c'est le multiculturalisme et le symbolisme qui ont entraîné des frictions et une continuité dans le domaine culturel et dans le domaine de la connaissance, pour pratiquer des rituels occasionnels, et de faire des idéaux une approche encadrée de la diversité culturelle des peuples sociaux dans un domaine selon différentes composantes culturelles.

Mots-clés: culture, diversité culturelle, proverbes populaires

تقديم عام:

يعتبر التنوع الثقافي خاصية جميع مجتمعات العالم، ومع ذلك لا تكاد تجد مجتمعا أو بلدا بكامل جغرافيته وتاريخه وكذا من حيث مكوناته الثقافية واللغوية والدينية وموروثاته الثقافية المادية واللامادية.

ولعل التنوع سائر الطبع لكل مناحي الحياة البشرية في اللسان والكلام، في العادات والتقاليد في المعتقدات الدينية والدنيوية وغير ذلك من المصطلحات الثقافية التعددية للتراث، وقد يفيد التنوع الثقافي الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها، ويتجلى هذا النوع التنوعي من خلال أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية وتتقوى اهتماماتها المادية الثقافية داخل مجتمع بكل مكوناته وسلوكياته وأحداثه التاريخية ومعاجمه اللغوية واختلافاته الطقوسية.

ونظرا لهذا التنوع الثقافي الغني قامت أجهزة الدولة الوطنية بالصهر على المكونات المختلفة من أجل لمّ شملها الثقافي المتنوع، وجعلها –الدولة– مركزا لشعاع التنمية وضمان الاستقرار، لكن سرعان ما أصبح هذا النموذج تعترضه عتبات كثيرة، ممثلة في عدم استجابته لحاجات المجتمعات في حماية تنوعها أو تنوعه وحماية تراثها الغني، أدى إلى ظهور الحركات الاحتجاجية التي مارست الكثير من الضغوط المدنية والسياسية والتي جعلت من تغير نموذجها التقليدي الكلاسيكي إلى نموذج برافعة تنموية أكثر انفتاحا على التنوع واحتراما ورعاية له.

- **تعريف التعددية الثقافية** [1].

تختلف تعريفات التعددية الثقافية، إذ تستخدم الانتروبولوجيا مفهوم التعددية الثقافية للدلالة على جماعات، تختلف أنماط الحياة لدى كل منها اختلافا شاسعاً عن غيرها، أما العلوم السياسية فتستعمل هذا التعبير للدلالة على جماعات ذات فروقات ومميزات ملحوظة تعيش في مناطق جغرافية محددة، وتشكل هذه المميزات الملحوظة قاعدة لقوتها السياسية.

وفي تعريف علم الاجتماع فهي رغبة بعض الجماعات في المحافظة على أوجه الشبه فيما بين أفرادها لاعتقادهم أن الصفات والقيم والمعتقدات المشتركة التي تشكل مصدر شعور الافراد بالفخر والثقة بالنفس والصحة العقلية والتماسك، وتهتم التعددية الثقافية بالتنوع في إطار الوحدة، وتستلزم التمسك الإيجابي بالتنوع بين الجماعات القائم على حق الجماعات الثقافية المختلفة في الإعتراف والإحترام، وفي هذا الإطار تقر التعددية الثقافية بأهمية المعتقدات والقيم وطرق الحياة في خلق الاحساس بالقيمة الذاتية للفرد والجماعة على حد سواء، وهكذا تستحق الثقافات المتمايزة أن تتمتع بالحماية والدعم مع تجنب الهيمنة أو الانصهار ضمن ثقافة سائدة معينة، وهي تضفي الشرعية على الإنتماء الثقافي المختلف، وتمنح الاعتراف بالخصائص الثقافية.

التنوع الثقافي [2]: خاصية جميع مجتمعات العالم، حيث لا نكاد نجد مجتمعا أو بلداً يتوفر على تجانس ثقافي أو لغوي، ودينى مطلقاً وحيث يطبع التنوع كل مناحي الحياة البشرية في اللسان والعادات والتقاليد والمعتقدات وغير ذلك، كما يفيد التنوع الثقافي الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الانماط الثقافية السائدة فيها، ويتجلى هذا التنوع من خلال أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجتمعات التي تتألف منها الانسانية.

وقد عملت المجتمعات الحديثة في السهر على المكونات المختلفة من أجل تقوية ركائزها داخل المنظومة الاجتماعية للوحدة المركزية للدولة، إلا أن هذا النموذج سرعان ما أصبحت تعترضه عقبات كبيرة ممثلة في عدم استجابته لحاجات المجتمعات في حماية تنوع تراثها

الغني، مما أدى إلى ظهور الحركات المدنية والسياسية التي جعلت العديد من الشعوب تغير من نمطها الثقافي التقليدي إلى أسلوب حضاري أكثر انفتاحا على التنوع واحتراما ورعاية له.

ويعد المغرب بلدا غنيا من حيث تنوعه الثقافي واللغوي مند أقدم العصور. حيث تفاعلت في إطاره حضارات عريقة تعاقبت على أرضه، كما شهد انطلاقا من موقعه الجغرافي المنفتح على العمق الافريقي، وعلى البوابة المتوسطية، وعلى التنوع الداخلي من حيث المكونات الثقافية كالعربية والحسانية والامازيغية واليهودية، التي ساهمت كلها في تشكيل حضارته وشخصيته الثقافية المتعددة. ففي التاريخ القديم لشمال إفريقيا تفاعل الامازيغ السكان الأصليون مع بعض الشعوب الافريقية، وشعوب البحر الابيض المتوسط. كما تفاعلوا مع العرب في المرحلة الإسلامية، ومن خلال ذلك مع الحضارات الشرقية مما سمح بتشكيل معالم للتنوع الثقافي واللغوي في المغرب.

حيث رصد جوانب التأثير والتأثر التي تجلت بالخصوص في اللغة الأم للسكان الأمازيغ وغير الامازيغ، والتي تفاعلت مع بعضها من حيث اللغات الأخرى الوافدة، ونتج عن ذلك توالد لغات جديدة وبسيطة، مثل الدارجة المغربية (la langue maternelle) التي هي نتاج تفاعل اللغتين الامازيغية والعربية، مما ميز المغرب بتنوع ثقافي ولغوي، ساهم في إثراء هويته وتعددها وتميزها. ونظرا لتهميش وجهل هذا التنوع الثقافي لسنين طويلة بعد الإستقلال. أقر دستور يوليوز 2011 مختلف مكونات هذا التنوع الثقافي واللغوي المغربي، وأكد على ضرورة احترام هذا التعدد الهوياتي، والمحافظة عليه، ويشكل التنوع الثقافي رافعة للتنمية، وضمان الاستقرار كما يساهم عند إقراره وضمان الحفاظ عليه في تثمنين ضمان الاستقرار داخل جغرافية البلاد من حيث الجانب السياسي، وتعميق الانسجام الاجتماعي، عكس ما كان يعتقد.

- **مفاهيم التعدد الرمزي:**

- **مفهوم الرمز عند بعض العلماء**

تعريف الرمز عند / تشارلزبير (charles Peirce)، والذي يندرج تحت مفهوم الاشارة، التي يقسمها إلى ثلاثة أنواع هي (الصورة Image Icon الدليل (index)، ثم ثالثا الرمز (symbol).

فالصورة عبارة عن صورة شيء أو موضوع تقوم على أساس وجود تشابه بينهما، وبين الموضوع المشار إليه مثل الصورة الفوتوغرافية والتماثيل، والخرائط والرسوم البيانية

الدليل: من أهم خصائصه، هو أنه يشير إلى الموضوع المشار إليه بسبب تأثره بذلك الموضوع، فالعلاقة بين الدليل والموضوع المشار إليه تقوم على الإتصال، ليس على التشابه، فالدليل جزء من الموضوع. المشار إليه ويتأثر به، مثل أعراض المرض تشير إلى وجود مرضى معين، والغيوم تشير إلى نزول المطر، وصوت الجرس يشير إلى وجود شخص أمام الباب.

الرمز: يمثل الرمز النوع الثالث من الإشارات عند بيرس، ويشير الرمز إلى الموضوع المشار اليه، بسبب وجود قانون وإعادة أو اتفاق، أو ارتباط في الافكار من حيث أنه يعني ذلك الموضوع، وفي هذا المعنى تعتبر الكلمات والجمل والعبارات، والكتب، وسائر الإشارات المتفق عليها رموزا.

- **مفهوم الرمز والإشارة عند دي سوسير(DE Saussure)**

الرمز هو نوع من الاشارة، يطلق عليه إسم المشير أو الدالة، وتوجد رابطة طبيعية بين الرمز والمرموز إليه، مثل الميزان هو رمز للعدالة، والرمز هو حامل للتصور أو المعنى.

الإشارة: تعني ارتباط كلي بين تصور ما وصورة صوتية محددة، مثل كلمة شجرة وهي عبارة عن صوت مرتبط به تصور معين.

- **مفهوم الرمز عند إدوارد سابير (Edward sapir)**

يقصد سابير بالرمز أو علامة او إشارة الهدف منها، استدعاء وتوجيه الإهتمام الخاص، نحو شخص، أو موضوع أو فكرة أو نشاط مرتبط بصورة مبهمة أو غير مرتبط على الإطلاق، على اساس طبيعي بذلك الرمز، ويذهب إلى أن كثيراً من الاشياء والموضوعات التي لا تعتبر هامة في حد ذاتها، مثل الإعلام أو إشارات المرور التي تكتسب الصفة الرمزية على أساس أنها تشير إلى أفكار وأفعال ذات أهمية كبيرة في المجتمع.

- **مفهوم الرمز في الادب: (الأدب ومذاهبه)**

يعد الأدب أداة للتعبير عن حالات مختلفة متغيرة، نفسية وإجتماعية وتغير هذه الحالات يؤدي حتما إلى تغير المذهب الأدبي الذي يعد القالب في حماية هذه الحالات. (الفنية والاجتماعية)، وهو مجموعة من الخصائص التي يتنور بها الأدب في صياغة تلك الحالات ليخرج بها فنا جميلاً، وقد تعددت هذه المذاهب تباعا وكان لنشأة كل مذهب دوافع وأسباب وأول هذه المذاهب، هناك المذهب الكلاسيكي ثم الرومانسي وبعدها المذاهب الواقعية وأخير الرمزية، التي أخذت. الرمز اساسا لديها معتمدة عليه، وتاليا سيتم تعريف الرمز لغة واصطلاحاً.[3]

- **تعريف الرمز لغة واصطلاحا**

الرمز لغة كما ورد في المعجم الوسيط الإيماء والاشارة والعلامة، وفي علم البيان: الكناية الخفية (جمع) رموز والرمزية: والطريقة الرمزية مذهب في الأدب والفن ظهر في الشعر أولاً، يقول بالتعبير عن المعاني بالرموز والإيحاء ليدع للمتذوق نصيبا في تكميل الصورة أو تقوية العاطفية بما يضيف إليه من توليد خياله[4]. وفي القاموس المحيط الرمز يضم ويحرك الاشارة او الايماء بالشفتين أو العينين أو الحاجبين أو الفم أو اليد او اللسان يرمز ويرمز[5]

ولا يختلف تعريف الرمز لغة واصطلاحا عن بعضهما فيعرف اصطلاحا كمذهب أدبي ينحو المنحى الفلسفي، إذ يتم من خلاله التعبير والإفصاح عن التجارب والحالات بشكل غير مباشر، وفي نظر بعض الأدباء أن هذه الحالات لا تستطيع اللغة تمثيلها فالرمزية لا تستخدم للتعبير عن حالات واضحة، حيث يستخدم الرمز والايماء كوسيلة وأداة لذلك[6] فالرمز كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، لا بطريق المطابقة التامة.

إنما بالإيماء، أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها، وعادة يكون الرمز بهذا المعنى شيئاً ملموسًا يحل محل المجرد، مثال الرجل الهرم كرمز للشتاء، والرمزية " اتجاه ظهر في الشعر في فرنسا، وازدهر في الخمس عشرة الاخيرة من القرن التاسع عشر، ويصور حياة الشاعر الداخلية ويجعل مما يرونه في العالم رمزاً للحالات النفسية[7].

فالرمز إذا هو أساس هذه المدرسة وعمادها القائمة عليه، والتعبير بالرمز كان مألوفا من أقدم العصور، غير أنه أصبح ذا قيمة. فنية وعضوية يتضمن داخله الرموز التاريخية والاسطورة[8]، والرمزية لها أصول فلسفية قديمة، غير أنها لم تتضح في الأدب إلا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وتعد الرمزية الأساس المؤثر في مذهب الحداثة الفكري والادبي، وقد جاءت كرد فعل على الرومانسية والبرناسية، ولم يعرف مصطلح الرمزية إلا في عام 1885، وذلك في مقالة للفرنسي جان موريس

- **عوامل نشأة الرمزية في الأدب**

تعددت العوامل والدوافع التي أدت إلى بروز الرمزية وانبعاثها، فهناك العوامل العقدية، وكذلك عوامل اجتماعية وأخرى فنية ومن الاسباب العقدية انشغال في الغرب بما وضعته الفلسفة الوضعية، والتي بدورها تغفل الجانب الروحي، وطغيان الجانب المادي عليه، فأصبح هناك فراغ لم تستطع المادية ملأه أما فيما يخص العوامل الاجتماعية، فيمكن إجمالها بالإختلاف والصراع الذي بلغ أوجه بين ما يريده الأديب والمفكر، ويطمح إليه كل منهما كالحرية المطلقة التي تتجاوز حدود الأخلاق، وبين درة الفعل المجتمعية التي لم تلبت في كبح طموحاتهم، مما جعلهم يستندون أكثر إلى نظرية المثل لأفلاطون، التي تنكر الحقائق المادية الملموسة، أما العوامل الفنية، فقد تجلت بإيمان بعض الكتاب بعجز اللغة في التعبير والافصاح على الحالات النفسية. الدقيقة التي يعيشونها، فأصبح الرمز وسيلتهم في التعبير[9].

- **التعدد الرمزى.**

1- الرمز في الثقافة اليهودية

يعد الانسان رمزيا بامتياز حيث أصبحت الرموز جزءا من حياته لما تحقق منع غايات كبرى على رأسها ما يصطلح عليه في علم الاجتماع التفاعل الاجتماعي في أبعاده الاستيتيكية والديناميكية على أحد منظري علم الاجتماع (أوكست كونت) وهو ما يقابله الثبات والتحول وهذا راجع إلى إبراز خصائص الإنسان الذي يميزه عن الحيوان، حيث يحاول إنتاج الرموز التي تبرز هيمنته وفهمه للطبيعة، بعد تحول المجتمعات وتطور العلوم اتجهت الدراسة إلى التحليل لمعرفة خصائص الرموز والغاية والهدف منها. وكيف تأثر أو تصوغ الحضارة الإنسانية وعلى رأس هذه العلوم التي بدأت بالتحليل نجد الانتروبولوجيا التي عملت على تحليل المجتمعات البدائية لمعرفة الثقافة السائدة انداك والسلوكات المكتسبة التي تحيط بها وتعيشها وتتعايش معها.

فالسؤال الجوهري والذي نحن بصدد الاجابة عليه هو كيف يمكن أن يلعب الرمز في ابراز الهوية الثقافية لشعب من الشعوب، ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر قيمة الرمز في الثقافة اليهودية وفي التراث اليهودي ومقارنته مع ثقافة المجتمع المغربي لان الثقافة اليهودية مكون من مكونات الثقافة الشعبية المغربية إذن ماهي أسس الرمز في هذا المكون اليهودي وماهي العوامل المتداخلة بينهما أي بين الثقافة المغربية الأصل، والثقافة اليهودية كفرع داخل الاعم إن الثقافة اليهودية لها حدود تاريخية كانت هناك مجموعة من العوامل والمسببات ساهمت في تكوينها واخراجها الى حيز الوجود للدراسة (ففاطمة بوعمامة) تؤكد أن الثقافة اليهودية من حيث التكوين لم تكن بشكل اعتباطي، بل أن هناك عوامل وراء ذلك أبرزها العامل التاريخي الذي يميز هذا المجمع من حيث ثقافته وهويته وفلسفته الخاصة وهو ما أكده حاييم الزعفراني في كتابه " ألف سنة من حيث اليهود "

فحيم الزعفراني يؤكد ان المجتمع اليهودي كان يمتاز بخصائص تبرز الهيمنة الثقافية عبر العصور القديمة التي تضرب. جدورها في الحضارات القديمة وهذا ما جعلهم يعيشون. حنينا إلى الماضي نتيجة الشتات والتفرقة التي مست مجتمعهم وجعلتهم منتشرون في بقاع العالم.

2- قيمة الرمز في الثقافة اليهودية المغربية

تحتل الرموز أهمية كبيرة، خاصة الرموز الدينية فقد قدس اليهود مجموعة من الرموز التي تربطهم بشريعتهم واعتبروها بمثابة إلتزام بأوامر الرب، وتعبيرا عن تمسكهم بأوامره وتجنبهم لنواهيه وقد أصبح للرمز في الثقافة اليهودية دورا كبيرا في التعبير عن الهوية والثقافة اليهودية والاعتزاز بها.

وقد عرض الدكتور رشاد عبد الله الشامي في كتابة الرموز الدينية في اليهودية " عينة من هذه الرموز وحاول أن يقدم دلالتها وفقا للتصور اليهودي، والرموز التي عرضها رشاد الشامي هي (المنورة (الشمعدان)، وماجين دافيد (درع أو نجمة داود) الطاليت (شال الصلاة) الصبيحيت (المزوزاه) تابوت العهد والختان. وسأحاول في هذا الجانب الاقتصار على أهمية هذه الرموز ودلالتها:

لقد بلغت قيمة المنوراه، حد التقديس فقد جاء في سفر الخروج 40/25) وقد أمر الرب بصنع المنوراه على مثال المنوراه[10] التي أظهرها الرب له في الجبل، أما دلالتها الرمزية فهناك من شبهها بشجرة الحياة أو "الموريا" التي تتفرع إلى ستة أفرع متقابلة، ثلاثة أفرع عن اليمين وثلاث على اليسار على جانب السياق المركزي.

هذا على مستوى الشكل، أما على مستوى المضمون فشجرة الموريا تقطر أغنى عطورها وقت تفتح أزهارها، كما أن المنوراه تنبعث أبهى أنوارها وقت إشعال السرج[11]. إذ نستنتج أن المنوراه في الثقافة الشعبية اليهودية ذات قيمة دينية تتجلى أساسا في اعتقاد بعض اليهود. بأن ظهور الرب لموسى كان عند شجرة تشبه كل من المنوراه وشجرة الموريا، وأن شجرة الحياة أو المنوراه ترمز فروعها الى العالم الكوني ونوره الالهي وتوراته ووصاية، كما ان الشمعة الدائمة الاشتعال ترمز، إلى فلسطين والشعوب الأخرى تتجه إليها لأن روح القدس تسري في فلسطين.

ومن الشائع تاريخيا أن سليمان قد صنع عشر منورات وقيل في تفسير هذا الأمر بأنه في مقابل الوصايا العشر، وحيث أن كل منوراه تحتوي على سبع شموع فإن الرقم 70 يرمز الى اسم العالم السبعين،

أما فيما يخص قيمة نجمة داود أو ماجين دافيد باللغة العبرية فتتجلى في قدراتها السحرية، فهي تذهب البأس وتدفع الحسد كما أنها تجلب الحظ، أضف إلى ذلك ارتباطها ببني الله داود فهي إذا رمز لمملكة إسرائيل، وتعبر عنها وإذا عدنا إلى قيمة طاليت[12] نجد أن له قيمة دينية لهذا يستخدمه اليهود أثناء الصلاة، وقبل ارتدائه ينبغي تلاوة الفقرة "إمبارك أنت أيها الرب إلهنا ملك العالم الذي قدسناه بوصاياه وأمرنا أن تتدثر بالأهداب[13] (نفسه ص 63) إذ فقيمة الطاليت تكمن وتتجلى في ارتباطه بالصلاة التي هي عماد الدين في اليهودية كما في الإسلام، لهذا يحرص على نظافته في كل تلف حتى ولو بدأ بسيطا كما ان للميموزاه قيمة كبيرة في الثقافة الدينية لدى اليهود إذ تربطهم بتعاليم الرب خصوصا وإنها تعلق على الابواب كما أنها من منظورهم تبارك في الرزق والاولاد والبركة أما الشوفار فقيمته تتجلى في بعده الديني، خاصة وأن اليهود يعتقدون بأن أول شوفار صنع في تاريخهم من الكبش الذي ضحى به إبراهيم إفتداء بإبنه، وقيمته في ربطهم بهذا اليوم المقدس في التاريخ اليهودي كما الاسلامي أما بخصوص عهد الختان أو" بريت ميلاه"، فإذا كان الختان رمزاً دينيا مقدسا في اليهودية، فإن اليهودية التلمودية أو الربانية المعاصرة: تعرف الختان بأنه أساس العادات القديمة وأهم أسس الشريعة الدينية وقد فسره، الحاخامات اليهود على أنه رمز للنضج الفكري والاخلاقي و الديني اليهودي بل أيضا لحب اليهودي لبني قومه. إذا فقيمة الختان عند اليهود أنه من جهة رمز للعهد بين الله وإبراهيم، قوامه ان يختن من قومه كل ذكر في اليوم الثامن من ولادته، فهذا الختان علامة بين الله و بين شعبه ومن لم يختتن إبنه فعقابه أن يقطع من شعبه، و من جهة أخرى قيمته الرمزية تتجلى في أنه تعبير عن حب اليهودي لبنى قومه (نفسه ص 63)[14]

لم يقتصر الرمز على الشعائر الدينية العقائدية في الثقافة. اليهودية، بل انتقلت فكرة التقديس، إلى تقديس بعض الأيام في الحياة اليومية عند المجتمع اليهودي بالمغرب، فمثلاً إذا كان يوم الجمعة باعتباره يوماً مقدساً عند المسلمين. ويكثر فيه من فعل الخيرات، وترك المنكرات، والتقرب بالعبادة إلى الله عز وجل، فإن يوم البست هو يوم مقدس لدى اليهود، فالسبت هو يوم عطلة الوحي بين جميع العطل، الذي أمر به وفرض في الوصايا العشر حيث ورد في الوصية الرابعة " إذكر يوم السبت لتقدسه، بمعنى أنه في هذا الأسبوع، أنك تعمل وتصنع لمدة ستة أيام في العمل، وأما اليوم السابع، ففيه سبت للرب إلهك لا تضع عملاً ما أنت وإبنك وإبنتك وعبدك، وأمتك، وبهيمتك. أي يوم راحة شاملة، وتزيلك الذي داخل أبوابك، فإن في ستة أيام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها، واستراح في يوم السبت، اليوم السابع، لذلك بارك (الله) الرب يوم السبت وقدسه"[15]

ويرى محمد الهواري بأنه يوم في يوم السبت تألفت ثلاثة مفاهيم، مفهوم الخلق، المفهوم الاجتماعي، ومفهوم التحرر من العبودية، أي خروج بني إسرائيل من مصر [16] ويتجلى مفهوم السبت في المفهوم الاجتماعي زيادة الإكثار من فعل الخيرات البر والاحسان حماية الضعفاء، ممن هو في حاجة ماسة، أما مفهوم الخلق، ففيه يعتقد اليهود بأن الله خلق الكون في ستة أيام، ثم استراح في اليوم السابع. ومن هنا. أخذ اليهود فكرة الاستراحة، فقد جاء في الكتاب المقدس، " واذكر أنك كنت عبداً في أرض مصر، فأخرجك الرب وإلهك من هناك، بيد شديدة، وذراع ممدودة لأجل ذلك أو صاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت"[17]

- **طقوس وعادات المناسبات**

تعتبر حفلة الزفاف أو الزواج من مناسبات الأفراح تجر معها تاريخاً ثقيلا ومليئا بالمعطيات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعقائدية فالزواج، أو ما يصطلح عليه بطقس العرس، كان ولا يزال مناسبة لترسيخ التكافل بين أفراد المجتمع، سواء من خلال الهدايا التي يقدمها الأقارب والأصدقاء والجيران لأهل العرس، أو من خلال الغرامة التي تعطي.. للعروس والعريس، وهو أيضا مناسبة لتليين القلوب، وحل الخلافات الفردية والجماعية.

ومن جانب آخر فإن الزواج أو العرس، هو مناسبة تعكس نوع النظام السياسي وتنظيمه الإداري والعسكري، كما أن بعض عاداته وطقوسه هي امتداد تاريخي لارث حضاري موروث من أسلافنا، وهي بذلك تؤكد أن المجتمع المغربي بكل مكوناته ظل وسيظل منفتحا على ثقافة غيره، وليس منغلقا بشكل تام، بل هناك تبادل من حيث التأثير والتأثر مع شعوب وحضارات أخرى.

ونحن في إطار المقاربة للتنوع الثقافي والتعدد الرمزي للموروث الثقافي الشعبي المغربي، نستحضر قيمة الزواج في الطقس اليهودي المغربي ثم نستحضر طقوس وعادات العرس في الموروث الشعبي المغربي كمكون ثان بعد اليهودي.

- **رمزية اللباس في المناسبات**

من مظاهر الاحتفال بهذه المناسبة، يرتدي العريس كسوة الإحتفال، وهو لباس محلي مطرز، ومزين بأزرار من الحرير، وسترة طويلة (زوفا) مشدودة بحزام من حرير يسمى "القفطان" كذلك تستوي العريس على كرسي الزوجية " تالامون، وهي كلمة إسبانية Talamo وتعني أريكة حملها المغوراشيم معهم في الاندلس (مهجروقشتالة) وتكون معطرة ومزينة بالذهب والأحجار الكريم ويطلق على هذا اللباس بالكسوة الكبيرة، والتي يتجلى فيها المحافظة، وهي ضاربة مند القدم. ويمكن مقارنتها ببعض الأزياء الاوروبية في القرون الوسطى[18] والتي تتكون قطعها من صدرية

مخملية مطرزة بالذهب (كتف)، صدر مخملي أحمر رماني أو أخضر مزين بإشارات مذهبة أزرار فضية (الخولياج)[19] وهو قطعة مستقلة لها وظيفة صلاة تقويرة العنبار، ويتم تمريرها إلى الظهر، وتحكم بقميص لها عدة أسماء إسبانية وعربية ففي مدينة تطوان تعرف بـ (بونتة) أي: الصدر" بيتو في طنجة، وتعني الصدر، ويطلق عليها في مدن سلا والرباط والصويرة " الكتف " وتعرف بالوجهة في مدن فاس ومكناس وصفرو[20] والعنبار مزين بأشرطة ذهبية بكمين قصيرين مقور بشكل واسع من جهة الصدر، وينتهي عند الحضر بأزرار جميلة. مفتوحة من خيوط الذهب، ويطلق عليها قفطان[21]، وقد يصمم بشكل آخر يكون فيه مصحوباً بحزام عريض ومقوى من المخمل المطرز بالذهب واللؤلؤ (حزام أو مضمة)، ويضفي على الكسوة. طابعاً جمالياً – وبلغة مطرزة بالذهب أو كمام واسعة من الحرير (أكمام وتشميرة).

بالإضافة إلى إكليل مثقل بالجواهر والزمرد والياقوت، وقطع من الذهب – وغيرها من المنقوشات الجوهرية، كذلك تزين بنوع من الخمار أو السوالف ووشاح من الحرير الرفيع يشد الشعر (فتسيل) وخمار من الحرير الأبيض أو الأخضر بحجاب شفاف أبيض يدلى على الوجه.

ومن تعاليم التلمود القديمة في الشرائع اليهودية، باتت أن تحرم فيما سبق على اليهود ظهار شعرهم ابتداء من يوم زواجهم فكان على كل عروسة ستر شعرها بغاية تحت وشاح، ولكن هناك بعض الإجازات التي أذن بها حاخامات متسامحون سمحت بتدارك غياب الشعر أباءت إرتداء الشعر المستعار شريطة أن يكون إنسانياً.

فالعروسة اليهودية، غالبا ما تكون شديدة التخصيب بالمعنى أنها تستعمل كثرة الكحل في العينين، الواجنتان والشفتان حمراء الصبغ، ومن الواجب أن تكون الحلي وفيرة في العروسة، مثل. سائر الضيوف من حولها تتزين بكل ما تستطيع من الحلي[22]

ولقد تمت المحافظة على إستعمال الازياء القديمة في الحفلات. المهمة إلى حدود السنوات الأخيرة، فكان والد العروسة يعمد إلى إهدائها بمناسبة زواجها " الكسوة الكبيرة " ترتديها طوال حياتها إبان المناسبات الكبرى (زواج فتاة)[23]

وقد اختصت الكسوة الكبيرة بنساء اليهود الوافدات. من بعض الدول الأوروبية، ويعود أصلها إلى بلاد الاندلس. أو إسبانيا، وقد اعتبرت إرثا مثاليا نقله عدد كبير من الإنسان بعد نزوحهم إلى المغرب نتيجة للتعصب الديني، وذلك لسنة 898 هـ / 1425 م، وتحمل كذلك وظيفة جمالية تبرز فيها العروس في حفل الزفاف، واحتفظ بتفاصيلها إلى بداية القرن 20م، خاصة بالواحات الجنوبية المغربية، وقد آلت اليوم إلى النسيان[24].

وما يمكن استخلاصه، هو أن غزارة الموروث الثقافي في المكون اليهودي المختلفة والمتنوعة، ساهمت في خلق التنوع الثقافي بالمجتمع داخل مجاله وحقله العلمي.

- **رمزية ودلالة بعض الطقوس.**

بعد الحديث عن الثقافة اليهودية بدلالتها ورموزها. نستحضر أنموذج آخر له عادات وتقاليد في الطقوس تحمل أبعادا دلالية متنوعة يمكن دراستها وتحليلها لمعرفة أعماقها وأبعادها الاجتماعية بالمنطقة من هنا لم يقتصر التنوع الثقافي على المكون اليهودي فقط، بل هناك طقوس أخرى وعادات متنوعة بمناطق جغرافية البلاد، وهذه الانماط الثقافية التي تمثل صوراً أو نماذجا، تعتبر عن مجموعة من الرموز والدلالات. المتصلة بعضها ببعض، وهذه الصور لها معنيان: يكمن الأول في ذاتها، والثاني على معنى آخر.

إذاً، فالرمز هو ما يشير به إلى معان أخرى تختلف في معناها عن معنى الشيء الحقيقي، وبذلك لا تقتصر قيمة الرمز وأهميته في. خصائصه الداخلية فحسب، بل له أهمية وقيمة مستقرة في المعنى الذي يرمز إليه، والذي هو شيء آخر، والعلاقة بين الرمز من حيث معناه، والشيء الذي يرمز له علاقة شبه تعسفية، ولكنها إتفاقية من حيث المعنى للموروث الثقافي.

فالثقافة تخلق الرموز، وتحدد وظيفتها، ومن هنا تختلف الثقافات والمجتمعات في الرمز المستخدم للشيء الواحد، إلا أنها لا تختلف في الوظيفة الرمزية – وقد تتحقق أشكال مضمونها داخل السياق الموجودة به، ومن أهم وظائف الرموز أنها تنشئ العلاقات بين الأفراد والجماعات، وتجعلها كالأشياء الملموسة، فالرمز إدراك المجرد الملموس[25] فالرموز أداة للفهم والإدراك، فهي وسيلة لإثارة العواطف. والاحاسيس، وحث الناس على الفعل، وهي عادة تحدث في أنماط متنظمة من الأنشطة، كالشعائر الدينية والطقوس الخاصة. بدورة حياة الفرد.

وتعد الشعائر من أهم الأنساق الرمزية التي تعكس مناهج أساليب تفكير الناس واتجاهاتهم السلوكية – فالشعيرة نوع من التعبير الرمزي عن الاراء والعواطف التي ترتبط بموقف محدد، وهي تأكيد رمزي للقيم من خلال الأفعال الثقافية والشعائر السائدة في كافة الثقافات، هي الشعائر التي تمارس عند انتقال الفر من حالة اجتماعية لأخرى، وهي التي أطلقت عليها شعائر المرور، وترتبط بدورة حياة الفرد، كالميلاد والخطبة والزواج والإنجاب والمرضى الوفاة. كما أن الشعائر تمد الأفراد بالشعور بالأمان والطمأنينة، وتوحي بالتغلب على أزمات الحياة ومواجهة التوتر والقلق والاضطرابات النفسية، ولا تقتصر أهمية الشعائر على طقوس الفرد، بل تشتمل المجتمع ككل – فهي أداة لتأكيد وتثبيت القيم وتعمل على تحقيق. الضبط بإمداد المشتركين فيها ببعض الوسائل والأساليب التي تحدد طبيعة علاقتهم بالآخرين، وبالعالم المحيط بهم، وتعدد أيضاً علاقاتهم بالقوى الطبيعية أو ما فوق الطبيعة.

ولعل مراسيم الزواج بأحد مناطق مجال البلاد (البهاليل) عبارة عن خليط بين عادات حضرية وبدوية وبقايا طقوس بربرية قديمة جداً.

وإذا احتفت هذه الطقوس في جهات أخرى دون أن تترك أي أثر سر فإنها في هذه المنطقة محتفظ بها بقدر جلي وواضح [26] ومن دلالات بعض الطقوس نجد:

أن يتزوج رجال البهاليل من داخل القبيلة، وما يعرف بالزواج من فئة معينة (endogamy) أي الزواج العشيري، بمعنى زواج داخل نفس الجماعة كانت سلالية، مهنية، قبلية أسرية لا يتجاوزها[27].

واختيارهم لهذا الزواج له دلالة على ضمانهم الانتساب مصاهرة زوجة مضمونة، معروف عنها كل شيء: حاضرها وماضيها ولا يهمهم في ذلك شيء آخر، حتى وإن كانت المرأة الغريبة يتوفر فيها كل ما يتمناه الرجل، ودليلهم على ذلك هذا المثل باللغة. الفرنسية:

Une poule du village est préférable à une Perdrix de dehors...

أي " دجاجة القرية أفضل ما حصل من الخارج " فبالرغم من لذة لحم الحجل، فهم لا يفضلونه على لحم الدجاج، لا لشيء سوى أنه من خارج دائرة جغرافية ومجال القرية أو المنطقة.

وهنا شبهوا المرأة بلحم الحجل، أما عن إرسال بعض الهدايا للعروس طيلة فترة الخطوبة، وقبل موعد الزفاف، فله دلالة على تثبت العريس تلك الفتاة، وبأنه لم ينساها، ونحن نعرف أن الهدية هي وسيلة لمزيد من التقرب للشخص المرغوب فيه وأيضا حتى تتمكن من جمع جهاز (اجهاز) الزفاف وهذا ما يسمى في مناطق أخرى بـ "التقكور[28]" وعندنا بـ "الدفوع".

أما عن حمل إمرأة العروس على ظهرها، يدل على مدى خوفهم على تلك الفتاة الشابة في أن يصيبها أي مكروه بتخطيها عتبة المنزل التي يكون فيها آفة من السحور" أو "السحر" يجعل العروس بذلك " امثقفة" أي بمعنى عدم حصول اي شيء في ليلة بنائها "الدخلة"، فتبقى الفتاة كما جاءت من بيت أهلها. فهم بهذا يبعدون كل الشر من العروس، أوكل ما ينتج عنه من خسران الزوج لمقتضيات العرس أو شيء من هذا القبيل.

– إخفاء العريس وجهه عن الناظرين في ليلة زفافه، تخوفا من العيون الحاسدة، وكذلك نفس الشيء بالنسبة للعروس حتى " يطلعها السر"

– أما بخصوص إظهار العروس مقاومتها ورفضها مغادرة منزلها وعائلتها فهو يدل على خجل الفتاة أمام الحاضرين.

– أما بخصوص النزهة الانتصارية التي تقوم بها الام في كل أنحاء القرية" أو الحي برفقة المسيقيين والحاضرين له دلالة على انتصارهم على أقوال الناس، وبأن ابنتهم جاءت إلى بيت زوجها وهي عذراء.

– وبالنسبة لهجر الزوجة بيتها بعد شهور قليلة من الزواج لتعود إلى بيت أهلها، وتمكث فيه مدة سنة واحدة فهي تبقى غامضة.

ولعل من دلالة هذه العادة اختيار الزوج لزوجته، هل هو اختيار صائب أم خاطئ، وله دلالة يمكن رصدها على أنها تريد خيانته أم. لا تريد.

ولعل ما يؤكد ذلك هو توصيته لبعض النساء سرادون أن تعلم الزوجية بذلك والسهر عليها ومراقبتها طيلة هذه المدة.

– أما بالنسبة لعدم خروج المرأة من بيتها إلى غاية حصولها على كثرة الابناء أو عند بلوغها سن الشيخوخة، مما يؤكد لنا غيرته على زوجته أو حرصه على ألا يراها أحد غيره بهذا جعل شرط خروجها إما كثرة الأبناء حتى يتوضح لمن يراها أنها إمرأة متزوجة.

فشيخوختها وكبر سنها بمعنى أن المرأة فقدت بذلك جمالها ويظهر عليها بأنها غير مناسبة للزواج، وبهذا يضمن بأنه لن ينظر إليها رجل آخر، وتضمن هي بدورها حريتها المطلقة:

- **دلالة الاطعمة:**

تتنوع وتتعدد صور التعبير الرمزي لتشمل الطعام في المناسبات. المختلفة له مضمون رمزي وشعائري كبير عبر التاريخ كما توجد بعض الأطعمة من المنتوج المحلي... إلخ.

فالحليب يرمز في مختلف المناسبات للخير والكرم، كذلك تقدم بعض اللحوم من دجاج وكسكوس ولحم المنطقة. فهو دليل على أن المنطقة تحتوي على تنوع من المنتوجات ذات الاطعمة التي تشتهر بها القبيلة

– كذلك تقدم مادة العسل الراس والغرض من ذلك لسعادتها ويقدم لها البيض الذي يرمز للنور والجمال.

هذا ويبقى من أهم الرموز الاجتماعية في شعائر الزواج وطقوسه في المجتمع المغربي بصفة عامة "السروال " منطقة البهاليل بصفة خاصة "الفرجية " الذي يرمز للشرف والطهارة في عملية فض البكارة وعلى الرغم من خصوصية هذا الامر بين العريس وعروسه، فهو في الوقت نفسه، رمز الشرف المجتمع ككل، ويرتبط ارتباطاً وثيقا بثقافته وقيمه ومعاييره. ولاهمية هذا الأمر يؤدي ذلك إلى الشك والخوف والقلق الشيء الذي يؤدي إلى الترتب والإنتظار، عقب احتفال العرس مباشرة، وما ثم يتم نقله من أسرة إلى أخرى، ثم السير

به في الزفاف مع التهاليل، ونغمات إيقاع الغناء، وكذلك التغني بشرف الفتاة وشرف أهلها – وهذا اليوم بعد الفيصل لقطع ألسنة السوء. ومن ثم، القيت الرموز الاجتماعية الضوء على القيم التي تمثلت في الشرف والطهارة والولاء للتراث أو تأصيل العادات والقيم الإجتماعية أو القيم المجتمعية، وحرص المجتمع على مختلف الشعائر والطقوس التي تدعم هذه القيم وتحقق الالتزام بها في خلال الاقبال على الزواج الشرعي والعمل على استقراره.

تبقى الطقوس عبارة عن حركات أو أفعال تمارس عن طيب خاطر ليس لها ما يبررها، سوى كونها عملية تكرارية لما كان يتم في الزمن السالف، من هنا يكون التكرار عنصراً مميزاً للطقوس، ومن البديهي أن يحي سكان البلد في أي منطقة من مناطقه، سواء في قريته أو حضيرته تحت ظل كثير من (الأنساق) أنساق العادات التي تحظى بتقدير واهتمام فائق للسكان الذين يلتزمون إلتزاماً باحترام وممارسة الطقوس.

إذ فرغم المبادئ الإسلامية التي هي في صراع مرير مع هذه الطقوس، ومع ذلك لا تزال هذه المعتقدات سائدة في أوساطه القبلية، ومناطقه المختلفة، وفي أعماق مجتمعه الشعبي الكبير. إذ أن مسألة الإسلام في المغرب ليست مسألة سهلة وهينة، ولتحقيقها لا بد من البدء بهذه المعتقدات، وهذه الطقوس المتبعة، والمتعارف عليها، والمنتشرة هنا وهناك[29]. ومن ثم تبقى العادات والتقاليد سلوكات اجتماعية شعبية تمارس يوميا، ولا تخضع لمنطق التحليل والتقويم من قبل ممارسيها، إلا في حال مخالفتها (العادات والتقاليد) ولا يتم قياسها إلى شرع ديني، أو إيمان غيبي إلا بقدر ترسخ الشرع أو القيم الدينية[30]

وقد تختلف مناسبات الأفراح عند الشعوب، باختلاف الديانات والثقافات، والمخلفات الحضارية والمواقع الجغرافية، هذا الإختلاف. يعطينا صورة أخرى من التنوع الثقافي بأحد مجالات المغرب من حيث ممارسات الطقوس الممثلة في العرس والختان والأعياد الدينية والوطنية، وكذا مواسم جني المحاصيل مع الاحتفال بأحد الطقوس التي تتلاءم مع هذا الفصل، وكذا الجني، ثم بعد ذلك التركيز على عادات وطقوس حفلة الزفاف بنغمة توراتية تتركز على الأمثال الشعبية والحكم والمرددات، باعتبارها إرث ثقافي وغنى تفتخر به المنطقة خاصة وتعتز، ثم جميع المكونات الثقافية الاجتماعية عامة.

- **هاجس العرس في مثال شعبية،**

يقول المثل الشعبي المغربي:

" الزواج والموت هم لا يفوت"

أي لا بد منها لكل إنسان، والزواج يتطلب إقامة حفلة تسمى العرس أو الزفاف عند العرب و" أورار" " عند الامازيغ، وتمر العرس بالمغرب الأقصى بعدة مراحل: الخطوبة أو " تعرقبه"[31] و " لمشيخة" أو " الملاك" و" بطو" أو " البديه" وليلة الحناء، ويوم الهدايا وليلة السهرة، ويوم "لعوايد" أو يوم الخبر، وحب " الروس" أي تقبيل الرؤوس.

تتطلق الاستعدادت للعرس مباشرة بعد الخطوبة، لأن " زواج ليلة تدبير وتخمامو عام" و" هم الضرس ولا هم لعرس" أي أن ألم الضرس أسهل وأخف ألما بكثير من ألم وهم والوجع الذي يحدث التفكير في العرس في متخيل الإنسان القروي البسيط وغير القروي.

من جهة أن حفلة الزواج تتطلب مصاريف كثيرة يجب توفيرها. و تدبيرها، حتى يكون العرس حفلة فراح وأكل وشراب، وليس عرس " الما وازغاريت" (الزغاريد) أي لأ أكل ولا شرب فيه إلا ما تسمعه من الزغاريد والضرب على الطبل أحياناً، ومثل آخر يعالج نفس السياق " اللي قال لعرس ساهل يسمي ليه غير لما " و " لعرس إسمه لهرس " وهو مثل يقال في الديون التي تخلقها حفلة الزفاف بالنسبة

للفقراء، ولذلك تنصح الامثال الشعبية باختيار الزوجة المناسبة للزوج اجتماعيا، وبعدم انفاقه فوق طاقته في حفلة الزفاف، حتى لا يسقط في ديون هو في غنى عنها، كما في هذا المثل " مسكين اخذ مسكينة واتهنات لمدينة " أو " لبَسْ قدَّك إيواتيك"

– البدية، و " الدفوع " وحمل العروس.

ويبتدئ العرس بصفة رسمية بالعادة المسماة " بطو" عند الامازيغ، و "البديه " عند العرب، وخلالها يتم دبح شاة وترش عتبة الباب أو حصائر مدخل الخيمة بالدم لطرد النحس، وليبارك الله للزوجين، وفي هذا بقول إكبيل السوسي[32]

ورشهم بالدم فوق الباب ﴿ من بدع ليس إيواتيك"

ثم تعلق راية[33] يطلق عليها في الثقافة الشعبية " اعلام النبي" فوق المنزل أو فوق حمار الخيمة، حيث تلصق قطعة قماش تكون، في الغالب ذات لون أبيض أخضر في قصيبة إشهاراً بالعرس، ولتمييز مكانة (منزل أو خيمة) عن باقي المساكين[34]

وفي المساء يتم إعداد وجبة "الشرشم " من القلب الصلب أو الطري يحضرها أقرباء وجيران العريس.

وسمي اليوم الثاني بـ (الدفوع) وخلاله تتكلف عائلة العريس بإقامة وجبة غداء في دار العروس، حيث ينطلق الموكب صباحاً في دار العريس محملا بكل احتياجاته ولوازم الغداء، ولباس العروس وأمها وجدتها [35] وكل القبائل المغربية للديانة المسيحية، لأنه في بعض القبائل والدواوير كانت تلصق في أعلى القصبة خشبة أو عموداً، أو جزء من قصبة صغيرة تبلغ حوالي. خمسين سنتمتراً بشكل أفقي، لتشد قطعة القماش، فاعتبرها بعض الرحالة

بأنها رمز للصليب، وبالتالي أتباع وبالتالي أتباع الديانة المسيحية، وهذا ليس. بصحيح للمزيد من الإطلاع، انظر موليراس أو غيست Moulines August المغرب المجهول، الجزء ة، اكتشاف الريف، ترجمة عزيز الى الخطابي، منشورات تبغرازن أريف – طبعة دار النجاح الجديدة، الدار البيضاء 2007.

وذلك فوق قافلة من الدواب – قبل ظهور وسائل المواصلات الحديثة، والنساء يغنين ويزغرون[36]، وفي بعض الاحيان يكون الموكب مصحوبا بالموسيقي المعروفينب"الشيوخ" [37]أو (بالطبالة والغياطة) الذين يستعملون البندير (الطبل) [38] والغيطة [39] (المزمار، وعند الاقتراب من منزل العروس، ترتفع نغمات الزغاريد، ويزداد غناء النساء إعلاناً بوصول الوفد ومن بين ما كان يتم ترديده من الاغاني:

أَرَحْنَا جبنَا لَا تَقُولُو مَا جينَا﴿ أَفَرَشُوا وَأَعْطِينَا لوجاب

بمعنى، لقد وصلنا، فاستقبلونا أحسن الاستقبال.

خلاصـة:

ومن هنا، فخلاصة القول عن الامثال الشعبية، ومهمته الرمز أو الرموز الاجتماعية في الموروث الثقافي الشعبي، ساهمت في خلف دنيا ميتة ثقافية متنوعة أو خلقت وولدت ثقافات نتيجة العادات والتقاليد والمعتقدات والرموز والألعاب، والفنون الشعبية، وبالتالي كونت. أو تركت موروث فكري ثقافي حضاري يتمثل في التنوع الثقافي

فالتنوع الثقافي خاصية جميع مجتمعات العالم، حيث لانكاد نجد مجتمعا أو بلد يتوفر على تجانس ثقافي او لغوي أو ديني مطلق، حيث يطبع التنوع كل مناحي الحياة البشرية، في اللسان والعادات، والتقاليد والمعتقدات وغير ذلك.

كما يفيد التنوع الثقافي الاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية في الأنماط الثقافية السائدة فيها، ويتجلى هذا التنوع من خلال أصالة وتعدد الهويات المميزة للمجتمعات التي تتألف منها الإنسانية.

وقد أصبح التنوع بموجب ذلك حقا في الحقول التي تطالب بها المجموعات المختلفة، وصدرت العديد من الوثائق والمرجعيات الحقوقية الدولية التي تكرس الحقوق الثقافية واللغوية، مما وفر أرضية خصبة للحق في التنوع الثقافي الذي أصبح من حقوق المواطنة.

وإذا كانت الحقوق كنوية فقد أصبح من حق كل مجموعة أن تتمتع بالقدرة على التعبير عن خصوصيات، كما صار بإمكان المجموعات الثقافية واللغوية أن تتبادل المعارف، والخبرات، وتؤثر وتتأثر ببعضها في إطار نفس المجتمع الذي يعتبر تنوعه غنى وتراء ومصدر افتخار اعتزاز.

ويعد المغرب بلدا غنيا، من حيث تنوعه الثقافي واللغوي مند أقدم العصور، حيث تفاعلت في إطاره حضارات عريقة تعاقبت. على أرضه، كما شهد انطلاقا من موقعه الجغرافي المنفتح على العمق. الإفريقي، وعلى البوابة المتوسطية، وعلى الشرق الاوسط وأوروبا تفاعلاً حضاريا كبيرا بين مكونات عديدة، ساهمت جميعها في تشكيل حضارته وشخصيته الثقافية المتعددة.

ففي التاريخ القديم لشمال إفريقيا، تفاعل الأمازيغ السكان الأصليون مع بعض الشعوب الافريقية وشعوب حوض البحر الابيض المتوسط. التي برزت في فترات معينة على مسرح الأحداث، مثل الفنيقين والقرطاجين والرومان والوندال ثم البزنطيني، كما تفاعلوا مع العرب في المرحلة الاسلامية، ومن خلال ذلك مع الحضارات الشرقية مما يسمح بتشكيل معالم للتنوع الثقافي واللغوي في المغرب، حيث رصد جو جوانب التأثير والتأثر التي تخلت بالخصوص في اللغة الأم للسكان الأمازيغ، والتي تفاعلت مع اللغات الاخرى الوافدة، ونتج عن ذلك لغات جديدة وبسيطة، مثل الدارجة المغربية باختلاف مكوناتها الاجتماعية، والتي هي نتاج تفاعل اللغتين الامازيغية والعربية مما ميز المغرب بتنوع لغوي وثقافي ساهم في إثراء هويته و تعددها وتميزها.

وإذا كان هذا التنوع الثقافي قد ظل مجهولا ومهمشا لعقود طويلة بعد الاستقلال، إلا أن جاء الفرح مع دستور يوليوز 2011 والذي قد أقر مختلف مكونات التنوع الثقافي واللغوي المغربي، وأكد على ضرورة إحترام هذا التنوع والتعدد الهوياتي والمحافظة عليه.

كما عرف المغرب توجهات سياسية إيجابية بعدما نص الدستور الجديد على إحداث مجلس وطني للغات والثقافة المغربية، والذي سيهتم بحماية وتنمية مقومات الهوية الوطنية العربية والامازيغية والحسانية، والروافد الأفريقية والاندلسية والعبرية والمتوسطية، إضافة إلى العناية بالتراث. ويشكل التنوع الثقافي رافعة للتنمية وضمان الإستقرار كما يساهم عند إقراره وضمان الحفاظ عليه في ضمان الاستقرار السياسي، وتعميق الانسجام الاجتماعي عكس ما كان يعتقد، وهذا ما يستدعي أسلوباً وسلوكا ديموقراطيا ممنهجا، لتكريس هذا التنوع والحفاظ عل التعدد وقيم التسامح، والعدالة الاجتماعية والحرية. وقد يساهم كذلك بالقبول بالتنوع الثقافي والاقرار به عبر

الاستعمال الابداعي للإعلام وتكنولوجيا المعلومات والاتصالات بشكل خاص خلق الحوار بين الحضارات والثقافات، وفي بلوغ الاحترام والتفاهم المتبادل، ولهذا يكمن الرهان الحقيقي في النهوض بالتنوع الثقافي، باعتباره "تراثا إنسانيا مشتركا " يساهم في التقارب بين الشعوب والأمم، ونشر ثقافة التسامح والتبادل الايجابي (إعلان اليونسكو العالمي بشأن التنوع الثقافي 2001).

لقد أتت معاهدة اليونسكو لسنة 2005 بضمان حرية التعبير، وتعددية وسائل الاعلام. والتعددية اللغوية والمساواة في فرص الوصول إلى أشكال التعبير الفني والثقافي والحضور الكامل في وسائل التعبير والنشر، وهي مفاهيم وقيم تعتبر في إطار القانون الدولي ضمانات للتنوع الثقافي. في إطار المنطلقات المشار إليها عمل المغرب خلال (العقود الأخيرة) العقد الأخير على تسوية الخلافات المتعلقة بالتنوع اللغوي والثقافي، وخاصة بتدبير ملف الأمازيغية في إطار الحوار الوطني، وذلك بهدف الحفاظ على الثقافة الأمازيغية، والنهوض بها في جميع تعابيرها وضمان إشعاعها في الفضاء الاجتماعي والثقافي والاعلامي الوطني والجهوي والمحلي، بالإضافة إلى التعابير الاخرى من الحسانية واليهودية وغيرها، وبهذا تموقع المغرب في مكانة متميزة في شمال إفريقيا بخصوص حسن تدبير التنوع الثقافي، وكذا انفتاحاته في تدبير التنوع الثقافي على مجال الصعيد الافريقي والشرق الاوسطي، باعتماده منفتحة ومتفتحة على مكوناته الثقافية

الهوامش:

[1] لويس رودريغس، ترجمة: عقيل العبودي، التعددية الثقافية مجلة حكمة – 2021 -11-01

[2] خديجة عزيز التنوع الثقافي بالمغرب، رافعة للتنمية وضمان الاستعمال كتب وأراء مجلة هسبريس، الجمعة 19 يوليوز2013

[3] محمد مندور، الأدب ومذاهبه، القاهرة، نهضة مصر، صفحة 44- 43 بتصرف

[4] معجم اللغة العربية المعجم الوسيط القاهرة – مكتبة الشروق الدولية صفحه 372

[5] الفيروز ابادي، القاموس المحيط، القاهرة: دار الحديث. 2008، ص 669

[6] أب: المذهب الرمزيwww.alukah.net اطلع عليه بتاريخ 2019/06/28 بتصرف

[7] عليه عزت، معجم المصطلحات اللغوية والأدبية، القاهرة المكتبية الاكاديمية 1994 ص 144.

[8] نشأة الرمزية www.almerja.com. اطلع عليه بتاريخ 2019/06/28 بتصرف

[9] وجهة النظر الاسلامية حول المدرسة الرمزية www.alukah.net. اطلع عليه بتاريخ 28 – 02 – 2019 يتصرف.

[10] سفر الخروج، الإصحاح 25، الآية 40

[11] عبد الله الشامي، الرموز الدينية في الثقافة اليهودية، مركز الدراسات الشرقية، القاهرة ص 28

[12] عبد الله الشامي، الرموز الدينية في الثقافة اليهودية، نفس المرجع ص 63.

[13] الطاليت زي يميز اليهود عن غيرهم وهو نوعان طالبت قاطان وطاليت جادول (كبير الحجم)

[14] رشاد عبد الله الشابي – الرموز الدينية في الثقافة اليهودية، مركز الدراسات الشرقية القاهرة سلسلة الدراسات الادبية والتاريخية العدد 2000/11 ص 110

[15] محمد الهواري السبت والجمعة والاسلام الزهراء للاعلام العربي، قسم النشر الطبعة 1 / 1994 – 29

[16] نفس المرجع 1994، ص 30

[17] نفس المرجع 1994، ص 31

[18] جون بوزونيسور أنماط الملابس التقليدية في المغرب، ترجمة محمد بورو، من منشورات وزارة الثقافة – ص 158.

[19] حاييم الزعفراني ألف سنة من حياة اليهود بالمغرب، الطبعة الأولى الدارالبيضاء 1987ص 86

[20] محمد مقر اللباس المغربي، من بداية الدولة المرينية الى العصر المهدي الملكة المغربية منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية 1427 – 2006 م ص 275

[21] نفس المرجع، ص 275

[22] جون بوزنسو، أنماط الملابس التقليدية في المغرب الترجمة محمد يورو منشورات وزارة الثقافة ص 195

[23] نفس المرجع السابق، ص 195

[24] محمد مقر اللباس المغربي من بداية الدولة المرينية إلى العصر السعدي، المملكة المغربية، منشورات وزارة الاوقاف والشؤون الاسلامية 1427م. 1006، ص 275

[25] جاد الله منال عبد المنعم الرمزية في شعائر طقوسي الزواج بفاس من المنظور الانتروبولوجي في المرأة المغاربية، الواقع والرؤى المستقبلية، تونسى: العدد 4، 1994، ص 95.

[26] kace Houcien, les cerémoines du mariage mariage, P.337

[27] فكار رشدي، علم الاجتماع وعلم النفس والأنثروبولوجيا الاجتماعية، معجم موسوعي عالمي، 4 أجزاء في مجلدين مصطلحات، فرنيسي انجليزي عربي شرح المصطلحات بالعربية (الجزء الأول، باريس دار النشر العالمية، شتنبر 1980 ص 78

[29] DERME GHEM Emile le 19, culte des samts dans l'islam magrébin Paris Gallimard, 1954, P. 8

[30] عطية عاطف المجتمع والدين والتقاليد، منشورات، جروس برس، لبنان، طرابلس، ص28

[31] تدل كلمة " العركيبة، أو اتعرقية في الثقافة الشعبية المغربية على الدبيحة التى يدبحها أهل الرجل في بيت أهل الفتاة بعد تراضي العائلتي على زواج ابنيهما، وتكون هذه الدبيحة. اما كبشا أو خروفا أوجديا..... حسب المستوى المادي الأهل الرجل، والتعرقية و التعركيبة هي بمثابة إعلان واشهار عن بداية عملية الزواج. ويعتقد السكان على أن التعرقيبة هي ضرورة لنجاح وإتمام الزواج، لأن الدم الذي يراه فيها يطرد النحس والحسد ويجلب الخير والبركة (رواية شنوية)

[32] إكيل محمد ابن علي بن ابراهيم السوسي (ت 1162 هـ / 1748م) تنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان، تحقيق محمد ستيتو، مراجعة أحمد حدادي، منشور كلية الأداب والعلوم الانسانية رقم 46، سلسلة بحوث ودراسات 13 وحدة 2001، ص 89. وقد ذكر المؤرخ أن هذه العادة مقتبسة من اليهود والنصارى (م،ن،ص 90).

[32] ورد في أحد المقاطع الغنائية ما يلي. (مولاي السلطان تركب لعلام.. بين النجوم والغيام) أي أن العريس ركب علما عاليا يرفرف في السماء بين السحاب والنجوم.

[32] تتحامل الدراسات الإمبريالية لتقول أن تعليق الراية يعني اتباع بعض

[33] إكيل محمد ابن علي بن ابراهيم السوسي (ت 1162 هـ / 1748م) تنبيه الإخوان على ترك البدع والعصيان، تحقيق محمد ستيتو، مراجعة أحمد حدادي، منشور كلية الأداب والعلوم الانسانية رقم 46، سلسلة بحوث ودراسات 13 وحدة 2001، ص 89. وقد ذكر المؤرخ أن هذه العادة مقتبسة من اليهود والنصارى (م، ن، ص 90).

[34] ورد في أحد المقاطع الغنائية ما يلي. (مولاي السلطان تركب لعلام.. بين النجوم والغيام) أي أن العريس ركب علما عاليا يرفرف في السماء بين السحاب والنجوم.

[35] ظلت هذه العادة سائدة في المجتمع المغربي من العصر الوسيط على الاقل إلى يومنا هذا. كما يتضح من الأسئلة الواردة في بعض كتب النوازل، مثل هذا. الذي جاء في ديوان الأحكام حيث "سئل مالك عن الناكح يلزمه أهل المرأة هدية العرس، وجُل الناس يعمل بها عندنا حتى إنه لتكون فيه الخصومة. أترى أن يقضي به؟ قال: إذا كان ذلك قد عرف من شأنهم. هو عملهم، لم أران يطرح ذلك عنهم إلا أن يتقدم فيه السلطان لأني أراه أمرًا قد جروا عليه، للمزيد من الاطلاع، تنظر أبو الأصبع عسى الأسري الحياني (ت 486 هـ/1075م 1076م). ديوان الاحكام الكبرى أو الأعلام بنوازل الأحكام، وقطر من سير الحكام تحقيق، د، يحي مراد، دار الحديث القاهرة (1428 هـ/ 2007 م) ص 195

[36] تزغرد النساء لتشجيع وإثارة الحماس في الرجال، وخاصة في أزواجهن، أو أحد أقاربائهن، ولذلك قيل على أن الزغاريد تطيل في العمر كما يفهم من هذا المقطع الغنائي:

الالاه بوجوربكم الزغراتات ﷺ ألالة انتوما اتزدوا النص فلحتاه

بوجود أصل الكلمة فرنسي أو "بوجور" والتي تعني التحية، كلمة النص (النصف ومعناه المقطع أهلا وسهلاً ومرحبا بالزغاريد لأنها تطيل عمر الإنسان أو تضاعفه

[37] تتكون مجموعة (الشيوخ) أو الموسيقيين من طبال أو اثنين، ومن غياط النافع في المزمار أو إثنين، ومن مغني، أو اثنين، يعرف ب (المغناج) ومن راقصة أو اثنين تعرف بالشيخة أو الركاصة (بكاف معتومة) وفي بعض الاحيان وفي بعض الاحيان تستغل الشيخة كراقصة ومغنية وتظم مجموعة الشيوخ أيضا البراح، الذي يقبض المبالغ المالية من المتبرعين ويبرح مقابل طلباتهم أما أدواتهم فهي الطبل أو البندير أو الدف والمزمار أو الكلال بكاف معقوفة أو العيطة والقصبة

قصبة بها ثقوب ينفخ فيها المغني، وتحدث صوتا وفق الايقاع الذي يريده المغني، وكل ذلك من أجل روح الفرح والاحتفال بالموروث الثقافي ونقله للاختلاف والناي المصنوع من قرون الماعز أحيانا وفي الغالب يلبس الشيوخ لباساً موحداً يتمثل في عباءات فضفاضة بيضاء أو زرقاء أو شهل عليهم حركات الرقص ويصفون فوق رؤوسهم عمامات بيضاء أو صفراء وقد يعلقون حقائب وسكاكين صغيرة

[38] يرمز الطبل في الثقافة الشعبية إلى التبرع في اتخاذ القرارات وإلى إشاعة الخبر والمبالغة فيه لتشويه سمعة شخص آخر قد يكون شخص بريئا، والاسئلة الشعبية في هذا كثيرة منها: " ما يسمع من الصبر غير التنكيره ". التنكيره لهجة عامة معناها النقرة الخفيفة للطبل، ويرمز الطبل أيضا الى شخص بكثير من الكلام الفارغ دون فائدة، فيقال عنه " بحل الطبل جُونه خالي وصوته عالي

وأيضا: هذي طربلا ودنين وطبل مشرك: يقال في المرأة التي لا تكتم الاسرار وتنشرها بين الجميع، ويرمز الطبل كذلك لشخص يعرض لضرب مفرط بسبب ارتكابه لخطأ أخلاقي، كما في هذا

" اكلي ما اكلى الطبل نهار العيد " ويشير أيضا إلى عدم القناعة بالقليل كما يلمح من هذا المثل:" اللي ما طبل في البندير لكبير ما يشبع حضره" حضرة: معناه الجدية والوجد في المفهوم الصوفي

ويدل الطبل أيضا على نكران الجميل، كما في هذا المثل: ملي كيتهرس أكوال كيتفرقوا اللعبات " أكوال أداة للتطبيل في المناسبات مصنوع من طين وخزف. ويقال هذا المثل فيمن يكون الناس فيتهافتون على منزله بكثرة للترفيه عن النفس، وعندما يقع في ضائقة. مالية يبتعدون عنه، ولا يجد منهم من يواسيه ويخفف عنه ما ألم به وقد يقال المثل في صيغة أخرى: وَقَتَاش يتَهرس هذ لكوال ويتفرقوا اللعبات وذلك عند ما يرى من يحيطون به من أسرته وقرابته يستنزفونه ماديا، ولا يهمهم منه إلا المال، فينتمي الموت لتخلص من هذا الوضع

[39] تدل الغايطة " أو المزمار، والغياط في الثقافة الشعبية على عدم الانتباه والأخد بالنصيحة: كاع اللي زمرنا مشى مع الواد كما تدل على شخص قبيح الصورة فيقال عنه، بحال حنوك الغياط، أي أن جنكيه خديه يشبهان الغياط حينما يكون ينفخ في المزمار، ويرمز أيضا إلى شخص في أشد الغضب تجاه آخر اكثر عصبية، فتمناه بأن لا يتمادى معه أو يجاريه في ذلك كي لاتتطور الأمور إلى الأسوأ وتقول له طيح ع الغياط " طبخ لهجة معناها طيح أي انقض وخفض، وتدل الغايطة أيضا على التشهير بالشي كما في هذا المثل: أجي نسرق بالطبل و الغيطة تسترنا أي نسرف بالضرب على الطبل والنفخ في المزمار، ويدل المزمار أيضا على شيء أو شخص لا قيمة له ولا تبالي بما يقوله:

يقول الشاعر:

تراه اذ ينفخ في المزمار ☙ تحسبه في رتبة السّردار

يجتدب العاقل والنبيها☙ ويعشق الجاهل و السفينها

للمزيد على الاطلاع تنظر: إبراهيم حافظ (ت 1350- 51هـ.1932م)

ديوان ابراهيم حافظ ضبطه وصححه وشرحه ورتبه أحمد أمين

وأحمد الزين وابراهيم الابياري، الهيئة المصرية العامة للكتاب الطبعة الثالثة 1987، ص63.